الزمان والسرد في الخطاب الشعري العربي المعاصر قصيدة "ساعة في الجزيرة" لفدوى طوقان أنموذجا

Time and Narration in Contemporary Arab Poetic Discourse Fadwa Toukan's poem "An Hour in the Island" is a model

Temps et narration dans le discours poétique arabe contemporain Le poème de Fadwa Toukan "Une heure dans l'île" est un modèle

خولة زواري[1]*

تاريخ الإرسال: 2021/03/01 تاريخ القبول: 2021/04/28 تاريخ النشر: 2022/03/10

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الزمان ودوره في تسريد الشعر، وكيف يساهم الزمن في منح النص الشعري طابعا سرديا، فيتحول زمن الشعر إلى زمن سردي وتصبح بذلك القصيدة الشعرية قصيدة قصصية تحضر فيها كل التقنيات الزمنية التي يتم من خلالها نقل مختلف الأحداث.

تتخذ الدراسة من قصيدة ساعة في الجزيرة لفدوى طوقان أنموذجا للكشف عن تمثيلات الزمن الذي يتساوق مع غيره من التقنيات السردية الأخرى مؤكدا على علاقته الجدلية مع الذات التي تقدم داخليتها بأسلوب قوامه التذكر والحوار وكيفية حضوره وإشكالية تحولاته ،وتأثيراته في الذات.

الكلمات المفتاحية: الزمان ؛ القصيدة الشعرية ؛ القصيدة القصصية؛ فدوى طوقان.

Abstract :

This study examines time and its role in poetry, and the way it contributes to giving a narrative point of view to poems. The poetry time then becomes a narrative one, and the poem recites a short story in which all technical timelines are present, which then tell the different happenings.

The paper studies the poem "an Hour in an Island" by Fadoua Touqan, as a model in order to unravel the time manifestations which goes along with other narrative techniques, confirming its argumentative relation with self, that presents its interior in a style based on remembering and dialogue, how it is present, the problem of its transformations, and its effects on the self

Keywords: Time, Poetry, Narrative Poems, Fadoua Toukan.

Résumé :

Cette étude examine le temps et son Cette étude examine le temps et son rôle dans la poésie, et la manière dont il contribue à donner un point de vue narratif aux poèmes. Le temps de la poésie devient alors un temps narratif, et le poème récite une histoire courte dans laquelle toutes les chronologies techniques sont présentes, qui racontent ensuite les différents événements.

L'article étudie le poème "une heure dans une île" de Fadoua Touqan, comme modèle pour démêler les manifestations temporelles qui accompagne d'autres techniques narratives, confirmant

*المؤلف المرسل

[1]khaoula zouari , university larbi tebessi -tebessa , khaoula.zouari@univ-tebessa.dz

sa relation argumentative avec soi, qui présente son intérieur dans un style basé sur souvenir et dialogue, comment il est présent, le problème de ses transformations, et ses effets sur le soi.
Mots clés : temps, poésie ;poéme anecdotique , fadoua toukan .

مقدمة

احتل الزمان حيزا كبيرا لدى الشعراء منذ القدم، لما له من أهمية في تأريخ الوقائع وتسجيل الأحداث، والذكريات والآثار والبصمات، والشاعر لا يستطيع أن يمارس الكتابة بعيدا عن تفاصيل الزمن وحكاياته فهو الذي دفعه لكتابتها. باستعمال صيغ وكلمات تحمل دلالة وترميزا على المعاناة أو الرفاهية، الفناء أو الشقاء، الحركة أو النشاط، لتنتظم الكلمات وترصف العبارات لتشكل قصة شعرية. وينتقل النص. الشعري إلى نص سردي وهذه الظاهرة أصبحت أكثر بروزا في الشعر المعاصر خاصة لما اعترى القصيدة من تحولات جوهرية مست كل الجوانب من شكل ومضمون، حيث تغير الشكل وخفوت الإيقاع وحضر السرد الذي يعد الزمان من أكثر العناصر التي تساهم في حضوره. لذلك نتساءل :كيف تحول الزمان الشعري إلى زمان سردي ؟ وكيف أثر الزمان في الذات وكيف أثرت فيه ؟

وسنتخذ من قصيدة ساعة في الجزيرة لفدوى طوقان كنموذج تطبيقي، لعدم تسليط الضوء عليها من طرف الدرس النقدي من جهة، ولغناها بالظاهرة المدروسة من جهة أخرى، متعمدين على المنهج الوصفي والتأويل كونه يتوافق والأنسب لاستجلاء الظاهرة المدروسة .

1– الزّمان وبنية النّص الشّعري:

إنّ صلة الإنسان بالزمن صلة أزلية وأبدية، فهو عمره الذي يعيشه والماضي الذي تجاوزه والمستقبل الذي ينتظره، فبمرور الزمن تمر اللحظات وتتغير البدايات وتلوح ملامح النهايات، لتتفرد العبارات والكلمات بين الشاعر والحياة والبيئة والإحساسات وترصد أدق المشاعر وتبني موضوعات وتحبك أغنيات، وتخلد حكايات، نسجتها أيادي الزمن وتقاليد الشعوب ومطبات الحياة. يحرك الزمن كل تفاصيل الحياة ويسجلها لحظة بلحظة فما من حدث مضى أو هو آت إلا ونربطه بالزمن الذي حدث فيه، فهو لا يحضر في الذهن بذاته بل بحمولاته .

يمثل الزمن ركيزة أساسية في العملية السردية ،فهو الذي ينظم أجزاء كل النصوص فلا يمكن الاستغناء عنه ،ويعد "القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن " (قاسم، 1984، ص27) ويحضر الزمن في الشعر ومن هنا يتم تسريد الشعر، حيث استخدم الشعراء معطيات السرد لكتابة قصصهم الشعرية وتدوين لحظاتهم الزمنية ،كما يتميز السرد بإمكانية احتوائه مختلف الأجناس الأدبية ،دون الاقتصار على جنس واحد ،باعتباره نمطا من أنماط الخطاب كما أنه فعل لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات والبحث في جمالية البنى الدلالية والسّردية في الشعر المعاصر (عبد الناصر هلال، 2012،

ص 29) لا يمكن أن يفهم فهما تاما، إلا إذا تم تجاوز التقسيم التقليدي (نثر /شعر)، فلم تعد عناصر السرد مقصورة على السرد بل تداخلت واندمجت مع بعضها البعض .

يعد الزمن من أهم المكونات السردية التي تحضر في الشعر المعاصر بشكل مكثف وتساهم في منح الشاعر /السارد إمكانية قص حكايته، وفق تراتبية زمنية يختارها، فيتولد محكي شعري غذاءه الزمن إلى جانب مكونات أخرى لا تقل أهمية عن الزمن ولكن الزمن "يعد هو المحرك والمنظم لكل هذه المكونات ،فيغدوا الزمان المحور الذي تنتظم حوله البنية الإبداعية للعمل الأدبي، إذ لا يستطيع المبدع أن يمارس إبداعه بعيد عن هذا المحور، لأنّ التتابع الزمني يتدخل بفاعلية في تنظيم وحدات الإبداع داخل العمل " (محمود ا.، 2004، ص 12)، ويعمل على تحقيق الانسجام والاتساق بين بنياته المكونة لهذا العمل الذي يطلق علية تسمية القصيدة السردية أو القصيدة القصصية.

تتشكل القصيدة السردية من مادة الحكي و " تبنى على السرد بما هو إنتاج لغوي يضطلع برواية حدث أو أكثر، وهو ما يقتضي توفر النص الشعري على حكاية (Histoir) أي على أحداث حقيقية أو متخيلة تتعاقب وتشكل موضوع الخطاب ومادته الأساسية " (فتحي، 2006، ص 118) فينفتح النص الشعري على آفاق جديدة ورؤى مخالفة لمان كان، حيث تكون القصيدة فضاء رحبا للحكي.

2-الأزمنة الشعرية والتجربة الزمنية في قصيدة ساعة في الجزيرة لفدوى طوقان

كل ملفوظ يفترض متكلما وسامعا، ولكن الأحداث في النّص الشّعري المعاصر تبدو وكأنها تسرد نفسها، حيث تتداعى في النص وفق زمان محدد إما ماض مجهول أو مدرك أو حاضر معاش، أو مستقبل احتمالي ،ويكشف تعدد الأزمنة عن بنيات ومضمرات متعلقة بنظرة الشاعر المعاصر للوجود، وتوحي حركة الزمان بأبعاد الصراع النفسي سواء مع الذات أو العالم، وفق مونولوج داخلي أو خارجي، والتتابع الخطي للزمن هو ما يؤسس السرد ويصنع الحبكة بين عنصري الأنا والآخر بوصف القصيدة بنية حكائية تقوم على أشخاص وأحداث ومواقف .

2-1- الزمان وفاتحة السرد

تعد فاتحة السرد " مفتتح الكلام، واللحظة الحرجة التي يبدأ منها السرد، باعتبارها نقطة الانطلاق" (سامح، 2001، ص 141)، يمهد السارد من خلالها طريقا لسير الأحداث المتوالية، وأكثر ما تظهر في الجملة الأولى من السرد، وترتبط بشخصية بطل العمل القصصي، أو الشخصية الساردة، وتكون من أعقد الأجزاء في العمل الأدبي قد تكون دافعا مثيرا لولوج القارئ للنص والغوص في أغواره و"إعطائه الخلفية العامة لهذا العالم، والخلفية الخاصة لكل شخصية، ليستطيع ربط الخيوط والأحداث التي ستنتج فيما بعد " (سيزا، 1984، ص 45)

يشكل العنوان العتبة الأولى التي يتم من خلالها ولوج عالم النص ،وفهم المعاني العميقة وفك غياهبه"إذ يعد العنوان مرسلة لغوية تتصل لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا ،فتكون للنص بمثابة الرأس للجسد نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة وأخرى إستراتيجية، إذ يحتل الصدارة في الفضاء النصي للعمل " (شادية، 2002، ص 25) فسلطته تفضي بظلالها على النص ليكون تعريفا بهوية النص والعنوان الذي بين أيدينا عنوان مركب من ظرف زمان (ساعة) وجار ومجرور (في الجزيرة) وهو في مجمله يحيل إلى الزمان والمكان الذي ستسري فيه أحداث القصة وهي عبارة عن تفاصيل لقاء بين حبيبين وقصة حب لعاشقين والملفت للانتباه أنّ الشاعرة تعظم هذا الزمن الذي هو عبارة عن ساعة، قد يكون يتوافق فعلا مع الزمن الواقعي للقصة، وقد يكون مجرد تقدير وضعته الشاعرة والأقرب أن تكون هذه الساعة هي ساعة فرح وحلم وخيال ،فالأحلام السعيدة نستفيق منها بسرعة وتمر دون أن نحس بها فالساعة من حيث هي معادل موضوعي لا تساوي إلا نفسها، ولكن صورة التعامل مع هذه الساعة هي ما تحولها من تقديرها الزمني الموضوعي إلى تقدير ذاتي ،وقد تداعى العنوان في جسد القصيدة .

لكل شاعر هاجسه المختلف في بناء النص، يتوافق ودرجة إحساسه بالزمن وتجلية المستمر بأشكاله وصفاته، فالزمان ينساق وفق الحالة الشعورية للشاعر وروحه ويرى عبد الرحمان بدوي بأن الروح والزمان معا يكوّنان التاريخ العام، وما التاريخ بمعناه الأسمى إلا الروح، وهي تعرض نفسها في الزمان، كما تعرض '' الصورة '' نفسها على هيئة الطبيعة في المكان . والزمان بهذا المعنى ليس بعد ذلك الزمان الفيزيائي الذي عرفناه من قبل على هيئة تخرج ذاتي وانفصال" (عبد الرحمان، 1973، ص 21) فالزمن يمثل حركة الإيقاع الحياتي وهو يتعلق بالجانب النفسي للشاعر، و يتعلق الزمان النفسي بالجانب السيكولوجي للكائن وإحساسه اتجاه الأشياء وعلاقته مع الآخرين "فالوقت السيكولوجي يتغير تبعا للظروف ويسير بخطا مختلفة ،تبعا لاختلاف الأشخاص وفي الواقع وفي مناسبات مختلفة لدى الشخص الواحد " (مندولا، 1997، ص 138) فلكل إنسان زمنه النفسي الخاص به وهو متغير باستمرار وفق التغيرات التي تمس جميع تفاصيل العالم وينطلق البناء الدرامي لهذا النص من لقاء حميمي بين الشاعرة وخليلها ما يهيأ القارئ ويجعله يحدد فضاء الحكي ويتتبعه

بعيدان نحن هنا في الجزيرة

بحضن الظهيرة

ونافورة الماء تنثر فضة (طوقان، 1993، ص 138)

يبدأ السرد من الزّمن الحاضر ،و جاء الاستهلال القصصي على النحو الذي ينسجم وهدوء النفس، فقد صورت هذه الأبيات الحالة الوجدانية التي تعيشها الشاعرة في الجزيرة التي قد تكون من وحي الخيال نظرا لجمالها الخلاب ودفئها المشع وقد كان الاستهلال موفقا إلى حد كبير فكما يقول الجرجاني " الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص

وبعدها الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء " (الجرجاني، 1966، ص 47) فقد انسجمت الشاعرة مع الزمن الذي احتضنها فهي ذات مشحونة بعواطف وصورا وجدانية، واستعانت بالمشهد (scene) الذي يخرج الشعر من المباشرة وهذا ما يتطلبه الشعر حيث تراجع السرد لصالح الحوار مع الحبيب كما تتضمن هذه المقاطع الوقفة الوصفية التي تعمل على إبطاء وتيرة السرد وإيقاعه فاعتمادها على الوصف والطاقات الاستعارية يجسد صورا وديناميةتنسجم و التجربة الذاتية . فالزمن الذي تصوره هنا هو زمن الاتصال مع الآخر والتوازن العاطفي، فالزمان حين يمتزج مع المكان والوصف يسهم في نمو مسار السرد

هنا يا رفيق حياتي أنا

وأنت أمامي، أمامي هنا

وهذا المكان

يلف الغرام سماه وأرضه

وهذا الأمان

وهذا الرضى، كل هذا لنا (فدوى، 1993، ص 172)

تأسست القصيدة على منطق الحكي، حيث عمدت القصيدة إلى تصوير الواقع وتفعيل المشهدية ،ففي هذا المشهد تصور الذات قصة تتسم بالسرد الشعري وعنفوان الارتياح النفسي والرضي الحضوري مع الآخر والأمان والارتياح ،فحينما يكون الغرام منبعثا من كل الجهات سيكون الزمان زمانا مختصرا لكل اللحظات، ويمر سريعا كمرور الومضات التي تعنى بإشباع اللذة، وحضور الآخر ،الذي تؤنسه النفس، فهو رفيق الحياة وحبيب البدايات، بدايات تسطع فيها شمس الغرام ،لتعلن عن ميلاد للذة وإشباع للرغبة .تبدوا سعادتها غامرة بعدما لقيت ما كانت تأمله وتتمناه، حتى لا تكاد تستوعب حجم السعادة التي تعيشها في الزمن الحاضر، حاضر النشوة التي لا تريد أن تستفيق من لذتها . ويصبح الزمان أكثر سرعة حين يحدث التلامس الجسدي وتلتقي الأيادي وتتلامس كما تلامست الأرواح

هنا نحن، هذه يدي في يديك

ونار الحياة

تدب وتسرب منك إليّ

ومني إليك

هنا نحن بعد الطواف البعيد (فدوى، 1993، ص 172)

إلى جانب اللمسات تحضر العبارات لتزيد من التحام الذات مع الآخر، الذي يلهمها داعي الاطمئنان ،ويبشرها ببشرى، الأمان فالزمن يحمل في طياته مشاعر الفرح والسرور والغبطة ،التي تتداعى من خلال المونولوج الخارجي الذي تقوم

به الذات مع الحبيب وهو ما يساهم في مرور الزمن ،وقد شبهت لقائهما الحميمي بالنار فما الحب إلا نار منقولة وما النار إلا حب مباغت، فنار الحب لا نستطيع إخمادها أو إفناءها ،هي تحمل معنى الخلود والأزلية وسرعة التهابها تدل على سرعة مرور الوقت ويؤكد غاستون باشلار أنّ "النار لا تتم بشكل موضوعي أبدا ،لأنّ الإثارة التي تحدثها النار تأخذ دائما حتى بالعقول الأكثر استقامة وصرامة ،وبالتالي تشتعل داخلها النوازع والأحاسيس الشعرية وكذا أحلام اليقظة " (غاستون، النار في التحليل النفسي، 1984، ص 29)وتوظيفها لفظة النار هنا و والتدقيق على سريانها من بين الجسدين ،دليل على شدة حرارة اللحظة ولفح الشوق فهي تسرد ما يجول في داخلها من أحاسيس حب ومشاعر لقاء وشغف اقتراب .

توظيف لفظة النار إذا دلالة على مدى التأثر والحرقة الشديدة التي غمرت الحبيبين في هذا اللقاء الذي يضيع كل منهما فيه ،وإلى جانب لفظة النار وظفت كلمتي (تدب، تسرب ...) لتجسد مدى اتحاد الزمان والمكان في الحاضر، وتمثل هذه الأسطر تركيبة عقلية وعاطفية وانفعالية في لحظة زمنية معينة، فبعد الطواف مع الحبيب الذي سيستغرق وقتا طويلا ستتحد الذات من جديد مع الآخر في الحاضر، الذي يبدو ساكنا من ناحية الفضاء المكاني الذي يشبه الكعبة في جماله وانبهارها بجمال الجزيرة يشبه انبهار معتمر أو حاج مشتاق لزيارة الكعبة، والراحة التي تشعر بها تشبه راحة الحاج الذي يزور الكعبة مشحونا بكل الشحنات السلبية ويعود كأنّه ولد من جديد هكذا يتحرك منطق الحكي وفق رؤية سردية زمنية رسمت تفاصيلها تجربة شعورية .

تسترسل الشاعرة في نقل مشاعرها، وفق صور تتلاحم وتتآزر وتتتابع وفق سيرورة زمنية تجعل القصة أكثر تلاحما، وأكثر قدرة على النمو والاستمرار، من خلال توسيع الأبعاد الدلالية وتعميقها

معا نستريح

معا نستزيد

هوانا الجديد

هوانا الوليد

وشمس الشتاء

حنون الضياء

تضم كلينا

وتحنو علينا

وتفضي إلينا

بسر جديد

لذيذ ،نخبئه في دمانا

فيذكي هوانا

ويربطنا بشعور سعيد (فدوى، 1993، ص 174)

توظف الشاعرة على طول المسار المقطعي مجموعة من الأفعال، التي تتناسب والمسار الزمني (نستريح، نستزيد، تضم، تحنو، تفضي، نخبئه، يذكي، يربطنا ...)، فلا نستطيع التوقف عن القراءة حتى النهاية، والتي توحي بالتوحد التام مع الحبيب، لترصد لنا حكاية زمانها الحاضر زمان، الراحة والضياء الدفء والحنان، زمان السعادة والجدّة جمال اللّذة، فبمجرد بزوغ شمس الشتاء تبدأ الحياة من جديد تملأ الأرض بالنور الساطع والإشعاع المنير، فالشمس كانت بمثابة الدرع الحامي من الندى والمطر وبرودة الشتاء، فشعاعها سطع بعد زوال الغيوم وقد ظهرت بعد الصحو فازدادت نورا وإشعاعا فتكسوا الحبيبين ضياء وحسنا، واختارت الشاعرة فصل الشتاء لجلستها الرومانسية، فعلى قدر برودته تصبح فيه المشاعر أكثر دفئا، فشمسه تأتي على استحياء لتزين بدفئها الأجواء ،فقد مسحت بكل لطف على جبين الأرض فتصبح القلوب أكثر اشتعالا وتصبح الأرواح أكثر قربا.

تلك هي بداية القصة التي بين أيدينا وهي بداية هادئة سعيدة يمتزج فيها النظم الشعري بالأداء السردي سعت فيه الذات إلى تكوين قصصي سردي، ومن يقرأ بداية القصة يجد الشاعرة توظف لحظات مقترنة كل الاقتران بالزمان الحاضر، وتنهض من استهلالها على فعل السرد بضمير المتكلم، تبرز علاقة الأنثى هاهنا مبنية على فعل سردي آني كتابي، فالشاعرة/الساردة هنا هي شخصية في القصة تلقي بمشاعرها إلى حبيبها، الذي يمثل الطرف الثاني بفضاء مكاني هو الجزيرة، التي شكلت بنية كبرى في القصيدة أنتجت الشاعرة من خلال ارتباطها بالمكان دوال رومانسية واهبة للحياة ومانحة للدفء الذي ينتقل إلى داخل القارئ، فينسج علاقة حميمة مع النص ،تجعله يسأل هل ستستمر الشاعرة بالتلذذ بكأس السعادة أم سيتحول الوضع إلى وضع مأساوي والكأس إلى كأس حنظل؟

2-2-الزمان والعقدة

مع تشابك الأحداث وتضافرها يظهر ما يسمى بالعقدة التي يصور فيها الشاعر/السارد مأساته في بناء درامي حيث يحل الصمت ويتباطأ الزمن فتتحول الساعة إلى أعوام حين تنتزع الذات من الحياة، فالزمن حين يعصف بنا نتذمر ونشتكي من طوله، وثقله علينا، ونتمنى أن ينجرف وينقشع عنا، وحين يمر خفيفا لطيفا نرغب في استمراره وبقائه ،ونتمنى ألا يزول، وفي كلتا الحالتين يبرز إحساسنا به ونستشعره سلبا أو إيجابا فترى أنّ ساعة حزن تعادل أياما إذا ما قورنت بأوقات السعادة ،وأنّ فترة الانتظار مهما قصرت مدتها تكون طويلة وأن ساعات لقاء الحبيب تمر ثوان ...وهي أعراض نفسية نابعة من الحالة الفكرية والعقلية للمرء ذاته (عبد اللطيف، 1995، ص 46،47) ،تتفاعل الذات مع الزمن وفق محاولة ايقاض نفسها

من الواقع المعاش قصص الحب لطالما كانت نهايتها ثقيلة وموجعة ،فتتقدم بخيالها إلى المستقبل من خلال الاستباق الزمني لترسم لوحة سوداء عن الفراق .

سيأتي الغد

ويتلوه ما بعد

ويجيء سواه

وآخر يتبع آخر

ويعبر عام

وعام

وآخر

غدا تتبدل أحلامنا

غدا تتحول أيامنا

غدا نتغير . .

فلا أنت من بعد أنت

ولا أنا ما كنت قبل (فدوى، 1993، ص 174)

تختزل الشاعرة/الساردة في هذا المقطع أحداثا ووقائع جرت في أعوام في حكي موجز وسريع دون التعرض لتفاصيلها وتسمى هذه التقنية الخلاصة sommaire، يهدف السارد من خلالها لتسريع السرد، تمر الأيام والأعوام الحافلة بالأحداث والتطورات يلخصها السارد في بضعة أسطر، دون ذكر ما حدث وهو تلخيص ضمني، لم تحدد فيه المدى الزمني تحديدا واضحا ما يدفعنا نحن كقراء إلى تخمين المدى الزمني لهذا التلخيص على الأقل بشكل تقريبي.

تصور الساردة في هذه العبارات فعل الزمن وطوله وحركتيه في الآن نفسه، هذا الزمن الذي سيعصف بذلك البناء الصرح، ويوقع كل شيء وتنتهي بمروره قصة حب كان الهجران فيها كسوسة تنخر بضرس ،فلا تبقي منه شيئا ،فالأفعال الموظفة هنا (سيأتي ،يتلوه، يجيء، يتبع) توحي بتغير الزمن الذي يرافقه تغير في المشاعر وانقلاب للأحوال (تتبدل أحلامنا، تتحول أيامنا، نتغير) ،وهكذا يتخلى الفعل عن دوره كمؤشر على التحولات الطارئة إلى صانع لهذه التحولات، أي إلى " طاقة توليدية لحركة التداعي والاستدعاء، والتحول والتفاعل وما يرافق ذلك من انبثاقات دلالية مفاجئة" (أسيمة، 1992، ص 145) فالشاعرة تصور دبيب الزمن على نفسها ونفس حبيبها ،وعمدت إلى تكرار العبارات ولم تضعها هكذا هباء منثور،

بل تأكيدا لوقع تعاقب الزمن على نفسيتها ووعيها بملابسات هذا التعاقب، فالتغير سنة الكون وتلعب إرادة الإنسان دورا في صنع المتغيرات والتكيف معها .

تقرأ الشاعرة المستقبل فهذه الأسطر كانت كنبوءة عرافة تعلن عما سيحدث بينها وبين حبيبها قبل حدوثه فكل ما تحكيه في هذه المقاطع من أحداث وحوار يدخل في باب المتوقع والمتخيل ،تجنح بخيالها وتستشرف المجهول فالزمان الذي كان يضحكها سيتحول إلى زمان للبكاء والعذاب وستتحول الليالي البيض إلى ليالي سوداء وعتمة لا تضيء بعدها أبدا .

غدا نتغير

وقد انتهي

بنفسك يوما فلا من أثر

بنفسك مني ولا من صور

كأن لم أكن عالما تزدهي به

بكونك تملك آفاقه

وقد تنتهي

بنفسي (فدوى، 1993، ص 175)

تستمر الشاعرة في اعتمادها على التلخيص والحذف الزمني ،لتسريع الزمن والإنقاص من حدته ووقعه على الذات، وتكتفي بالإشارة إليهما بعبارات زمنيه(غدا)، هذا الغد الذي يحمل بين طياته الفراق المادي مع الحبيب ،الذي يرافقه فراق شعوري وحسي كأن الحبيبان سيصابان بمرض فقدان الذاكرة، ولكن الذاكرة لابد أن تحتفظ ببعض من صور الماضي ،فحتى لو كان هناك فراق مادي إلا أن الذاكرة لا تفارق الماضي بل تبقى على صلة معه بل هذا الماضي هو ما يشكل حاضرنا ويرسم خطانا نحو المستقبل، فالتغير حسبها موجود لا محال ،ولكن الانمحاء الكلي لهذه المشاعر فيه احتمالية (قد انتهي، قد تنتهي)

فالهجران هنا سيبادره الحبيب وهي ستكافئه بالمثل ،ثم تتحول هذه الاحتمالية إلى واقع فتفقد الذات كل متطلبات الوجود

بلى، أنت قد تنتهي

بنفسي

وتمسي

بقايا هشيم ذرتها الرياح

بكل مهب

فيفرغ قلبي

ويصبح حبي

رفاتا بقبر الزمان اندثر (فدوى، 1993، ص 175)

تتوالى الأفعال لتؤسس محكي شعري يكون فيه لانتهاء العلاقة مع الحبيب انتهاء للحياة بأكملها، فالزمان بالنسبة للذات الشاعرة زمان لم يعد للوجود فيه مكان ولا أهمية، تبدو اللغة الحوارية لغة مليئة بالحسرة، وإعلانا منها عن شدة عشقها للحبيب، الذي لم يكن صوته حاضرا ،ويأتي السرد مدمجا بالزمان ،الذي شبهته الشاعرة بالقبر، فالفراق واقع لا محالة ولكن فدوى لا تقوى على احتماله ،فتظهر ضعيفة أمام فراقها، ويرسم الزمن الحركة الفنية للنص من خلال تقدم السارد بذاكرته نحو الأمام عبر استثمار تقنية الاستباق وتجاوزه للحاضر وتكهنه بالمستقبل لتقدم الحدث الأكثر إلحاحا على ذاكرتها وهو الفراق، وتأخذ الأحداث بالتداعي بصور متنوعة، مما يسهم في حركية الخط الدرامي، عبر إسقاطات المستقبل فبعدما كان حاضر الساردة /الشاعرة يعيش نوعا من الاستقرار تعتمد على آليات الاشتغال الذاكراتي وتتقدم بذاكرتها بحركية تضاهي حركية الزمن، فتتنبأ بمستقبل متشظي وغير مستقر وتتأزم حالتها ،وقد أدت المشاهد في هذا المقطع الشعري /السردي إلى تكثيف الزمان ضمن بؤرة معينة .

وهنا استثمار للمشهدية حيث تتولد صور يمكن التقاطها وتجلي دلالتها فتتحول الصورة إلى " عملية فنية مركبة يشحذ فيها الشاعر كل طاقاته ،من ذهنية ونفسية ،وتعبيرية، ثم يستخدم هذه الطاقات في تقديم صور فنية لمشاعره الثابتة المتركزة حول موضوع معين ،وهذه الصورة نتيجة لتأمل عميق وليست نتيجة لفورة إحساس مؤقت " (محمود ا.، 1975، ص 95) فالشاعرة تمزج بين الواقع والمحتمل ،فعمدت لنقل هذا المحتمل وفق صور فنية لتصبح القصيدة هويتها الفنية وتجربتها الروحية . وبالتالي فالنسق الزمني يتصاعد في العقدة فشكل زمنا متسارعا، حيث قامت الشاعرة بتسريع الزمن للتخفيف من حدته وحدة حمولاته .

2-3-لزمان والنهاية

لقد كانت نهاية المحكي الشعري الذي بين أيدينا نهاية شبه مأساوية ،حيث يستدل الستار وتنقطع الإنارة لتترك النهاية مفتوحة ،إلا أن وفاء الشاعرة /الساردة يشكل بؤرة مركزية وقيمة جمالية إنسانية، فحتى لو قابلها الحبيب بمرور الأعوام بالخيانة والغدر ستبقى وفية له

مهما توالى

مهما استجد

فساعتنا هذه في الجزيرة

بحضن الظهيرة

ستبقى تعيش بروحي دقيقة

وراء دقيقة

وتحيا كروحي بقلب الأبد (فدوى، 1993، ص 176)

كانت هذه المقاطع بمثابة وعود تلقي بها الشاعرة إلى معشوقها في جلستها في الجزيرة التي لم تنتهي بعد، ولكن الزمن هنا لم يعد بالساعات ولا الأعوام بل صار بالدقائق وهذا إنما يدل على سطوة اللحظات ولذة البدايات ،فالزمن هنا لا يحضر بذاته بل من خلال تأمل الذات الساردة في آثاره فبمروره تتغير الأحوال وتتبدل القلوب وتذبل زهرة الحب ،ولكن الشاعرة ستبقي تسقي هذه الزهرة مهما طال الزمان ،وتحافظ على حبها مهما عانت من الحرمان فاللحظات الجميلة التي نتلذذ بها تبقى محفورة في أذهاننا مع فعل الزمان .

هكذا تم تسريد الشعر من خلال مختلف التقنيات الزمنية التي وظفتها الشاعرة وبثتها في بداية قصتها ثم في العقدة ثم النهاية فتولدت قصيدة سردية متكاملة لها وطأة في النفس وتأثير على العقل .

خاتمة

ما يمكن أن يخلص إليه البحث في تسريد الشعر عبر الزمان يمكن بيانه في الآتي:

-لقد احتل الزمن في شعر فدوى طوقان مكانة كبيرة في كينونة نصها الشعري وبين أسطرها الإيقاعية، وعباراتها النثرية، حيث وظفت مجموعة مكثفة، من الألفاظ الموحية في تماسك البناء الفني لقصيدتها ،وأدوات تشكيل جديدة لقصصها، التي قد تكون حقيقية أو متخيلة وتقنيات سردية تعرض من خلالها أحداث قصصتها لنصبح أمام تسمية جديدة للنص الشعري ألا وهي القصيدة السّردية .

-هيمنة تقنية الاستباق في قصيدة ساعة في الجزيرة بوصفها أكثر تقنيات الزمني النفسي حضورا، وهو ما يساهم في تسريد الشعر، وتحول القصيدة الشعرية إلى قصيدة سردية.

-ديمومة الزمن وعدم انغلاقه كونه متعلق بالجانب الوجداني، فكل ما يحدث في القصيدة السردية لا يتم إلا عبر الزمن أو من خلاله .

-شكلت القصيدة السردية فضاء تتداخل فيه العديد من العناصر، الشخصيات الحوار، المكان ولكن الزمان هو الذي يسيرها ويحددها .

-تعد تجربة الشاعرة فدوى طوقان ،تجربة فريدة من نوعها وتستحق الدراسة من مختلف الجوانب .

قائمة المراجع العربية

1. أأ مندولا. (1997). *الزمن والرواية*. (بكر عباس، المترجمون) بيروت: دار صادر.
2. الربيعي محمود. (1975). *في نقد الشعر*. القاهرة: دار المعارف.
3. الرواشدة سامح. (2001). *منازل الحكاية،دراسات في الرواية العربية*. دار الشروق.
4. الصدقي عبد اللطيف. (1995). *الزمان وأبعاده وبنياته*. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
5. العشيري محمود. (2004). *الشعر سردا ،دراسة في نص المفضليات*.
6. القاضي أبو الحسن الجرجاني. (1966). *الوساطة بين المتنبي وخصومه*. مصر.
7. النصري فتحي. (2006). *السرد في الشعر العربي الحديث ،في شعرية القصيدة السردية*. تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.
8. باشلار غاستون. (1984). *النار في التحليل النفسي*. (خياط نهاد، المترجمون) دار الأندلس.
9. باشلار غاستون. (1984). *النار في التحليل النفسي*. (خياط نهاد، المترجمون) دار الأندلس.
10. بدوي عبد الرحمان. (1973). *الزمان الوجودي*. بيروت: دار الثقافة.
11. درويش أسيمة. (1992). *مسارات التحول،قراءة في شعر أدونيس*. بيروت: دار الآداب.
12. سيزا قاسم. (1984). *بناء الرواية في ثلاثية نجيب محفوظ*. القاهرة : الهيئة المصرية العامة .
13. شقروش شادية. (2002). *سيميائية العنوان للدكتور بسام قطوس*. بسكرة.
14. طوقان فدوى. (1993). *الأعمال الكاملة*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
15. عبد الناصر هلال. (2012). *تداخل الأنواع الأدبية وشعرية النوع الهجين _جدل الشعري والسردي*. جدة: النادي الثقافي الأدبي.
16. فدوى طوقان. (1993). *الأعمال الكاملة* . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
17. قاسم سيزا. (1984). *بناء الرواية في ثلاثية نجيب محفوظ*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة.